

الحياة^١

أنك الغم صيغ من أضداد
طامحات إلى الخلود صوادي
قادحات بفكرها الوقاد
حة تجتاز أبعد الآماد
واهن النسج هذه الأجساد
من صروف جلت عن التعداد
هدمت عالمًا فسيح المراد
زاخر اللج دائم الإرعاد
جائش الماء فائض الإمداد
من وراء الإسماع والإشهاد
وهو معي مذاهب الرواد
هول جارٍ لمظلم الآباد
في عراك الأمواج والإزباد
ر، وما المنتهى لذا الاطراد؟
في مهاوٍ من الفناء بَعاد

أيهذي الحياة فيك اعتقادي
أنفس لا تحد فيها مناها
نازعات لدرك كل مُعَمَّى
طائرات مع الخيالات في اللم
ركبت من شقائها في كساء
وأحيطت بكل جسم شبك
فإذا آفة ألمت بجسم
إن هذه الحياة نهر عجيب
مده في مجاهل الغيب نبع
فجر الله نبعه في حماه
غمر الأرض ماؤه وصداه
فهو آتٍ من منبع الأزل المجـ
نحن فيه فواقع تتراءى
صاح أين المصب في ذلك النهـ
حفر في طريقه غائرات

^١ مقدمة قصيدة طويلة في رثاء المرحوم محمد عاطف بركات باشا، كتبت بلندرة سنة ١٩٢٤.

وى صواد أوامها في ازدياد
يتراءى لنا بموج جماد
موجه والرشاش في كل واد
ولذاك السكون جري النفاذ
بين هذي القبور والميلاد
في ظلام إلى المدى قصاد
والمنايا روائح وغوادي
عصافات الهلاك دون اتئاد
متوارٍ عن أعين الرُصاد
وطوى الماء صفحة من جلاذ
وأشاروا بعاجزات الأيادي
ليس من حيلة سوى ذا التنادي
صرخات الجهاد دون افتقاد
أبد الدهر فوق هذا المهاد
حكمة الله في بلوغ المراد
تشعل العزم في الخطوب الشداد
هاديات إلى طريق السداد
م هلموا، ولا تنوا في اجتهاد»
ماخرات بالعبء دون ارتداد
حيث يبغي المسير رب العباد
ت لا يأتلي لفعل الرشاد
ح ويلقى الردى جريء الفؤاد
يقهر اللج في رهيب الجهاد
قب يمضي لقومه خير هاد
ر ببحر الحياة، ذو الإنجاد

تشرب النهر ذا الغوارب لا تر
هي بحر الفناء: لج صموت
ولتلك الأحجار في كل قبر
ولذاك السكوت صوت رهيب
هكذا هكذا: نضوب وفيض
نحن في دنيانا كركب سفين
يفتح الموج كل هول عليهم
وتظل الرياح تعصف فيهم
وسوى ذين كل صخر مخوف
كلما أنجز الهلاك وعيدًا
جزع الركب للغريق وصاحوا
وتنادوا للرزء: وا حسرتاه!
ثم عادوا إلى المسير وحالت
هكذا هكذا: مسير وهلك
قهرتنا الأهوال واليأس لولا
فقلوب جوامح في مناها
إبر المغنطيس^٢ إما ضللنا
ثم صوت يهيب: «للاوجب الحثـ
فهو ريح تجري بكل سفين
ساخرات بهولها سائرات
خيرنا العامل المجد على العلا
ذاك من ينشر الشراع على الريـ
ويظل المجداف بين يديه
خيرنا ذو الأناة والنظر الثا
خيرنا خيرنا لإخوانه السفـ

^٢ أعني أن القلوب تشبه إبر المغنطيس في اتجاهها إلى الخير والحق.